ميدان الاهتمام الثقافي عند الإمام الخامنئي (دام ظله)

ميدان الاهتمام الثقافي عند الإمام الخامنئي (دام ظله)

د.محمد علي آذرشب

المستشار الثقافي السابق

للجمهورية الإسلامية الإيرانية في دمشق

الثقافة الإسلامية تدعو إلى (الحوار) لأن الدين الحنيف يدعو إليه، ولأن حضارتنا الإسلامية قامت عليه.

لكنّ الحوار لا يعني التراجع عن المبادئ الإنسانية الإسلامية، لأن هذه المبادئ هي الثوابت التي تحفظ هوية الإنسان المحاور، فلا حوار بدون وجود إنسان ذي هوية.

ولا حوار بدون قاعدة فكرية يقف عليها الإنسان في خطابه مع الآخر.

والثقافة الإسلامية إذ تدعو إلى الحوار مع الآخر، فإنها تؤمن بأن القاعدة الفكرية التي تقف عليها تستطيع أن تقدّم للبشرية عطاء إنسانياً ثرياً، كما تؤمن بأنها عن طريق الحوار تستطيع أن تأخذ (المفيد) من الآخر وتغني قاعدتها الفكرية، ومساحتها الحضارية.

قوة ثقافتنا الحضارية هي في ثوابتها القائمة على أساس الفطرة الإنسانية، وقوة ثقافتنا الإسلامية هي في منطلقاتها الحضارية الأصيلة التي بنيت على أساس الإيمان با.

والقيادة الإسلامية المتمثلة بالسيد القائد الخامنئي حفظه ا هي التي حملت مسؤولية صيانة هذه الثوابت، وحفظ سلامة المسيرة على الطريق الحضاري الأصيل.

ويحاول إعلام الدوائر التي لا يسعدها التوجّه الحضاري الإسلامي، ولا ترى من مصلحتها التمسك بالثوابت الإنسانية، أن تخلط الأوراق، وتثير تشويشاً في الأذهان للإيهام بأنّ الالتزام بالثوابت الحضارية يتنافى مع (الحوار) ، وتوجّه سهام نقدها نحو القيادة الإسلامية التي تتحمل مسؤولية صيانة هذا الالتزام، ولا يصعب على أيّ محلّل للثقافة الإسلامية أن يفهم السبب في هذا الهجوم، فالسيد القائد:

يمثل رمز بقاء الثقافة الإسلامية على طريق الإمام الخمينية في مواقعها العزيزة الكريمة على الساحة الدولية.

ويجسّد ضمانات سلامة المسيرة وصيانتها من الزيغ والانحراف عن مبادئها الرسالية السامية.

ويصون استمرار مناصرة قضايا العدل والحقّ على الساحة العالمية وعلى رأسها القضية الفلسطينية.

ويوجّه حركة الأمّة نحو الاعتدال والجادّة الوسط كي لا تصاب بالإفراط والتفريط في المواقف والسلوك. وهو ما مُنيت به كثير من المجتمعات الإسلامية في تاريخها القديم والمعاصر.

ويبلور قدسيّة الحاكم الإسلامي في نفوس الأمة، وهي قدسية تحاول كل الأنظمة إضفاءها على قياداتها من أجل شدّ الأمة بالقيادة، وهي متحققة بالقيادة الإسلامية بأروع صورها، وهي العامل الأساس في قدرة القيادة الإسلامية على دفع المسلمين لتحقيق انتصاراتهم في جميع الحقول السياسية والاقتصادية

والعسكرية والثقافية والعلمية، وصيانة هذه الانتصارات ومكتسباتها.

ويحافظ على الوحدة الإسلامية من التجزؤ، والسيادة التامة من التمزّق، ومعنويات الأمة من الانهيار أمام الضغوط.

ويواجه الغزو الثقافي ويحذّر منه ويبين أبعاده، ويفضح مخططاته، ويدفع أجهزة الدولة نحو التخطيط لتحصين الأمة منه.

بعبارة موجزة القيادة الإسلامية هي وراء كل ما تحقق من انتصار للمسلمين بإذن ا سبحانه في مختلف الميادين. ووراء بقاء الثقافة الإسلامية في موقعها الطبيعي على مواقفها الرسالية في الساحتين الداخلية والخارجية.

ومن الطبيعي أن تكون هذه الدعامة الهامة لاستمرار نهج الإمام الخميني مستهدفة من قبل كلّ من يريد أن تتخلى الأمة عن مواقفها الرسالية، وأن تفقد تماسكها الداخلي، وأن تنهار أمام الضغوط الدولية.

ولكثرة التركيز الإعلامي على إعطاء صورة بعيدة عن واقع القائد الخامنئي في انفتاحه وسعة أفقه وخطابه المعاصر نقف عند بعض المحطات من شخصيته عسى أن نكون قد سلطنا الضوء على جانب من الحقيقة.

في مجال العلوم الإسلامية

للسيد القائد الخامنئ حفظه ا مشروع رائد في الدراسات الإسلامية، عرض بعض خطوطه على الحوزة العلمية، ويتلخص في ضرورة تغيير مناهج الدراسات الإسلامية - مع المحافظة على أصالتها وروحها - كي تواكب متطلبات العصر، وتجيب على أسئلة العصر.

ويرى حفظه ا ضرورة الرجوع الواعي المتفهّم الى مصادر التشريع المتمثلة في القرآن والسنّة، وفق أصول اجتهادية بعيدة عن التحجّر والجمود، وبعيدة أيضاً عن الالتقاط وروح الهزيمة، لتقديم الإسلام بلغة العصر وفي إطار يتناسب مع احتياجات العصر.

وطالما حثّ علماء الدراسات الإسلامية على إعادة النظر في المناهج والأساليب ضمن مسيرة الحركة الاجتهادية السليمة كي تكون هذه الدراسات مواكبة للتطور الفكري والعلمي الاجتماعي على الساحة العالمية.

وله مدرسته الخاصة في فهم القرآن، وله طريقته الخاصة في الحديث وعلم الرجال، له أسلوبه الخاص في تناول القضايا الإسلامية منطلقاً من قاعدة أصيلة ومعاصرة.

في مجال الحوار الإسلامي الإسلامي

المشكلة الطائفية بين المسلمين عائق كبير أمام التفاهم والتعاون والتعاضد، وطالما جرّت إلى صراعات دموية، وطالما فتحت ثغرات لينفذ منها الأعداء المتربّصون. والإمام الخامنئي حفظه ا اتجه منذ وقت مبكر في حياته إلى مدّ جسور الحوار والتفاهم والانفتاح بين السنّة والشيعة.

فهو حين كان منفياً إلى مناطق في جنوب إيران يسكنها السنة والشيعة عمل على إشاعة روح التفاهم واللقاء والتعارف بين الفريقين من أبناء الأمة الواحدة. وهو أوّل من أسس أسبوع الوحدة وهو في منفاه أيام الشاه. مما جعل علماء السنّة في سيستان وبلوشستان يجلّونه ويحترمونه ويقدّرونه ويقيمون معه صداقات امتدت إلى يومنا هذا.

ثم هو بعد أن تولّى القيادة بادر إلى تأسيس المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية بغية إقامة حوار علمي بين المذاهب الإسلامية والبحث عن المشتركات الهائلة بينها، لتثبيت قاعدة التعاون في المشتركات والإعراض عن الانشغال في الاختلافات.

في مجال الحوار الإسلامي المسيحي

شجّع السيد القائد حفظه ا على مدّ جسور التواصل مع رجال الدين المسيحي، لإعطائهم الصورة الواضحة عن موقف الإسلام من الأديان الإلهية الأخرى، ومكانة السيد المسيح وأمّه في الإسلام، وضرورة الالتقاء على ساحة الفكر الإلهي وهو يواجه موجة الفكر المادّي الملحد. ووجّه رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية لتأخذ على عاتقها مسؤولية وضع منهج للحوار الإسلامي - المسيحي، ونهضت هذه الرابطة حتى الآن بمشاريع هامة لهذا الحوار مع مختلف الطوائف المسيحية.

في مجال الحوار مع الملحد

للقائد حفظه ا مواقف مدهشة من الملحدين الذين سجنوا معه أيام الشاه، فقد كان هؤلاء ومعظمهم من الشيوعيين لا يطيقون رؤية عالم ديني معهم. ولكنه كان يلاطفهم ويعاملهم بالتي هي أحسن، وله قصص مع هؤلاء.

والغريب أن السيد الخامنئ حفظه ا كان يبدي لهم كلّ انفتاح، ولكنهم كانوا يصرّون على عدم الخروج من قوالبهم الفكرية والنفسيّة، بل كان بعضهم يصرّ على جفاء السيد حفظه ا. قال أحد هؤلاء المكابرين يوماً له: ما رأيت رجل دين مثلك في انفتاحه وسعة صدره، فأجابه: وأنا ما رأيت مثلك في تعصّبه وانغلاقه وتحجّره!!

في مجال الفن

طالما اتّهم علماء الدين بأنهم منغلقون تجاه الفنون، وليست لهم نظرة واضحة في الفن. بينما السيد الخامنئي حفظه ا معروف في اهتمامه بالفنون ويلتقي دائماً بالفنانين من الموسيقيين والمسرحيين والسينمائيين ممثلين ومخرجين، ويتجاذب معم أطراف الحديث في تخصصهم، ويبدي أمامهم آراءه في الفنّ والتي تدلّ على علم وفهم وذوق لطبيعة الفنّ، ويشجّع على دفع المسيرة الفنية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية على الطريق الصحيح لتربية الذوق الفني السليم لدى الشباب، وله أحاديث ونظريات مطبوعة في هذا الحقل.

في مجال الآداب الشرقية

انفتاح علماء الدين على الساحة الأدبية يتوقف على ذوق العالم وقدرة استيعابه للغة الأدب التي تختلف كثيراً عن اللغة العلمية. والسيد الخامنئي حفظه ا من المشهورين في الانفتاح على الساحة الأدبية بشكل واسع.

فهو من كبار الناقدين للأدب، وله ذوق نقدي مرهف، يشهد له في ذلك كبار الشعراء والأدباء المعاصرين الإيرانيين . منذ أيام شبابه كان يتردّد على الأندية الأدبية، وينشد الشعر، ويبدي رأيه في الشعراء القدماء والمعاصرين، وله دراسات هامة في شعر حافظ الشيرازي وغيره من عظماء الشعراء الإيرانيين. كما أنّ نثره في الكتابة له موسيقاه الخاص ونكهته التي يعرفها من قرأ له، وحين يترجم من العربية

الى الفارسية يقدّم النصّ الفارسي بأبهج صورة وأروع ديباجة حتى يخيل للقارئ أن النص كتب بالفارسية أصلاً.

ومع أنه ينشد الشعر العمودي ويتعامل عادة مع عمالقة الشعر العمودي من أمثال المرحوم أميري فيروزكوهي، لكنه لا يتعصّب لهذا اللون من الشعر، ويؤيّد الشعر الحرّ ويرى أنّ من حقّ الشاعر أن يتحرر من أوزان الشعر القديم إذا كانت تحول دون إبراز مشاعره.

وأما قصته مع الأدب العربي القديم والحديث فطويلة، قرأ لأمراء الشعر العربي في كل العصور، وكتب وجهات نظر نقدية بشأن ما قرأ، وأُعجب من المعاصرين بأحمد شوقي

ومحمد مهدي الجواهري أكثر من غيرهما.

كما قرأ لإقبال اللاهوري وكتب عنه وعن أدبه دراسات قيمة.

في مجال الآداب العالمية

«أعتقد أني قرأت كلّ الروايات التي ترجمت من الآداب العالمية إلى اللغة الفارسية» .. هكذا يقول السيد الخامنئ حفظه ا بثقة مبدياً إعجابه بالروائيين الأوربيين والأمريكيين معتقداً أن الرواية هي ذروة ما يستطيع أن يقدّمه الإنسان في مجال الإبداع الأدبي.

وحركة ترجمة الروايات إلى الفارسية نشطة وسريعة، لكنّ السيد الخامنئي حفظه ا لم يتخلف عن هذه الحركة، وواكب كلّ ماصدر في الساحة من ترجمات لروايات عالمية، واحتفظ في ذاكرته بأسماء الروائيين، ومحور أحداث رواياتهم، ويتحدث مع الناشرين في الآداب العالمية، فيفاجئهم السيد الخامنئي حفظه ا بمعلومات عن الروايات العالمية لا قِبَل لهم بها.

وهذه ظاهرة مشهودة في جولاته الطويلة التي يقوم بها في معرض الكتاب السنوي بطهران.

في الانفتاح على العالم العربي

«طالما تمنيت أني ولدت في بلد عربي كي أكون متقناً للغة العربية كما يتقنها العربي» هذا الحبّ

للغة العربيّة جعل السيد الخامنئي حفظه ا منشداً إلى العرب والعالم العربي، ومتفاعلاً مع قضاياه الفكرية والسياسية منذ نعومة أظفاره.

ولقد كانت له منذ شبابه صداقات مع شخصيات عربيّة، ثم اتسعت حين أصبح رئيساً

للجمهورية ، وتواصلت بعد توليه مسؤولية القيادة، ويرى أن العالم العربي يشكل العمق الاستراتيجي لإيران، كما تشكل إيران العمق الاستراتيجي للعرب.

العرب اقترنوا في ذاكرته بالشهامة والرجولة والمواقف الكريمة، ولذلك فإن علاقاته تتوطّد بسرعة مع أية شخصية عربية تتحلى بهذه الخصال. فقد كان منشدّاً في شبابه إلى عبد الناصر، لأنه كان يطرب لصوت العزّة المنطلق في خطبه، ثم أصبح من المعجبين بالرئيس الأسد لمواقفه الكريمة من القضايا المصيرية، وكلمة التأبين التي وجهها بمناسبة وفاة الرئيس الراحل تدلّ على ما كان يحمله من مشاعر تجاهه.

ثم هو يتألم كثيراً ويحزن كثيراً حين يرى موقفاً ضعيفاً متخاذلاً من شخصية عربية، وكأنه لا يريد لعربي إلاّ أن يكون في ذروة العزّة والمجد، لأن العرب كما يقول إذا عزّوا عزّت كل الأمة الإسلامية.

وخلافاً لما يشاع، فإن القيادة الإسلامية كانت دائماً وراء انفتاح إيران على العالم العربي، وكانت تساند كلّ خطوة لإقامة علاقات وديّة مع البلدان العربية ومدّ جسور الثقة معها، ويعتقد أن إصرار القوى المتجبّرة على فصل إيران عن العالم العربي، يدلّ على أهمية اللقاء العربي في استئناف الحركة الحضارية لأمتنا.

في الانفتاح على الغرب

يرى السيد الخامنئ حفظه ا أن الغربيين متعطشون لسماع ما يروي ظمأهم الروحي وفراغهم العقائدي، ولذلك يشجّع على إرسال الدعاة وفتح المراكز الإسلامية في الغرب من أجل تقديم المشروع الإسلامي الذي يلبي حاجات الإنسان الماديّة والمعنوية. ويرى أننا مقصرون في تقديم الخطاب الإسلامي المتناسب مع الذهنية الغربية، ولابدّ من السعي لفهم الغرب ومعرفة ما يدور فيه، وما يكتب عن الإسلام هناك، لنستطيع أن نقدّم خطابنا الإسلامي بحكمة وبدراية، وإلاّ فإن أحاديثنا وكتاباتنا لا تجد لها صدى ولا تأثيراً.

هذا بشأن الجانب الشعبي من الغرب، أما المؤسسات السياسية فيعتقد السيد القائد حفظه ا أنّ الدوائر السياسية في الغرب لا تحاور إلا القويّ، ولا تعترف إلا بالقويّ.. من هنا إذا أراد العالم الإسلامي أن يكون طرفاً في الحوار مع الغرب السياسي فلابدّ له أن يكون أولاً قوياً في علومه ومعارفه واقتصاده وحركته الحضارية وسياسته وتماسكه الداخلي، وإلاّ فإن الغرب لا يعيره أي اهتمام، ولا ينظر إليه بندّية بل بنظرة احتقار واستعلاء. ولعلّ الظروف الأخيرة التي مرّت على العالم الإسلامي أثبتت صواب هذه النظرة.

في حقل مكافحة الخرافات

في المجتمعات الإسلامية بعض العادات والتقاليد السيئة التي اتخذت طابعاً دينياً ولكنها لا تمتّ إلى الدين بصلة، وغالباً ما يحذّر المصلحون من مسّها كي لا تخدش مشاعر الناس. لكنّ السيد القائد حفظه ا وجد أن تطهير الدين من الشوائب ضرورة هامة لتصحيح صورة الإسلام أمام الآخر. من هنا أصدر فتواه بمنع كل المظاهر التي تسيء إلى الاسلام وإلى العقيدة الإسلامية الناصعة، وخاصة في أيام ذكر الحسين بن علي.

ورغم جهل الجاهلين وتعصب المتعصبين أمر أجهزة الدولة لتقف بكل حزم أمام ما يشوب المظاهر الدينية من خرافة وانحراف.

الإهتمام بالشباب

عالم (الشباب) له خصائصه التي قلّما يتفهّمها (الشيوخ)، ولذلك تحصل غالباً الجفوة بين الجيلين. والسيد الخامنئي حفظه ا كان منذ بدايات عمله الإسلامي مهتماً بالشباب، ومهتماً بصياغة خطابه ليكون متناسباً مع الشباب، ومهتماً بالقضايا الفكرية والاجتماعية التي تحيط بالشباب. واستمر هذا التوجّه عنده حتى يومنا هذا.

رغم كلّ أعماله ومسؤولياته يحرص على أن يلتقي بالشباب في مكتبه وفي الجامعة ويحاورهم ويجيب على أسئلتهم في جلسات منفتحة، ويقول دائماً: «إنني أشعر بالنشاط والحيوية حين ألتقي بالشباب».

هذه باختصار بعض ملامح شخصية السيد القائد الخامنئي حفظه ا في انفتاحه الواعي الأصيل، وثمّة جوانب أهم في هذا القائد لسنا بصدد الحديث عنها وأهمها: الفقاهة والعمق الاجتهادي، التقوى والزهد والخلق

الكريم، والحكمة والتدبير والتعقّل والاتزان في اتخاذ القرار؟